وغيرُ بِدْعٍ فالسُّحْبُ مابرحت يقلّ منها حظّ الأهاضيب
شعرىَ ربٌّ الأشعار قاطبةً وهل يُسَوَّى ربّ بمربوب ؟

وهو فى هذا يضرب على حوافر المتنبى مع بعد الزمن وفارق العبقرية ، فيقلّده حين طلب أبو الطيب إلى سيف الدولة أن يجزيه لكل شعر يسمعه من الشعراء فهم صدى لشعره ينتحلون منه ويسرقون ويتقدمون به فى المديح ، يرددون ما قاله فكأنه يريد أن يختص نفسه بالعطايا والصلات وأن يحرم منها غيره ، وهو وحده الشاعر وغيره نظام لا يجيد أمراً . وقد صدق المتنبى فأصبح الشعراء يقلدونه فى مديحه وهم أصداء لشعره من غير شك ، يسألون كما سأل ويلحون كما ألح ويبالغون فى ذلك حتى أسفوا فى المسألة والإلحاح والأنانية .

وأصبح المليك فى نظر الشعراء مقسم الأرزاق والآجال بين الورى ، فيقول سبط بن التعاويذى فى مليكه :

قَسَمتْ يمينُك فى الورى الأَرْزَاقَ والـ آجالَ بَيْن مُنى وبَيْنَ مَنُون
وأَريتنا بجميل صُنْعِكَ ما رَوَى الرَّ اوون عن أُمم خَلَتْ وقُرُونِ

فجعله فى مقام الإله — عز وجل — يمنح الأرزاق والآجال ، تتعلق به النفس ويقف اللسان على مدحه وإجلاله دون الله ، كأنّ المديح عبادة وصلاة يرتلها الشعراء أمام هؤلاء الآلهة الصغار ، وبذلك يعودون بالشعر العربى إلى وثنية دونها وثنية اليونان ، فيحكون عن ملوكهم أساطير لا تشبهها أساطير القرون الأولى ، ويسقطون بالمديح سقوطاً يظل أجيالاً وقروناً يتردى فى حفرة الجهل والظلمات ...

ولما كان القرن التاسع عشر للميلاد نهض المداحون لملوكهم ؛ فراحوا يقلدون الشعر القديم ، ويتخذون من ألفاظه ومعانيه ميداناً يرتعون فيه ، فقال محمود الساعاتى فى « ولى النعم الخديوى الأعظم » إنه أنار الدنيا ودان لملكه كل مسود ، فعمّ نور العدل مصر ، وأشرقت بسماحته وبجوده ، وتولى الجور عنها ، فبشرى